The Arab Intellectual and the Crisis of Ideological Modernity in the Context of the Historical Development of Arab Society

Dr. Adel Al Ali **
Sameer Asaad *

(Received 5 / 2 / 2025. Accepted 11 / 5 / 2025)

□ ABSTRACT □

The research aimed to explore the role of the Arab intellectual in confronting the crisis of ideological modernity within the context of the historical development of Arab society. It employed the critical-analytical approach, a method of analyzing intellectual texts. The research began by analyzing the concept of the intellectual as an actor in the symbolic and social field, to demonstrate that their activity is governed by a constant engagement with ideology, either as a critical framework that guides thought, or as a constraint that robs them of their critical independence when they become a tool in the hands of authority or the market. The research also discussed the problematic relationship between the intellectual and imported modernity, which arrived in the Arab world laden with contradictions of Westernization and secularization, versus a conservative local heritage, generating tension between adoption and resistance. The intellectual's crisis also appears in their relationship with authority, as they oscillate between two discourses: the ideological discourse of authority and the discourse of the oppositional intellectual, who, if transformed into an alternative authority, loses credibility. The study reveals that the crisis of the Arab intellectual has deepened as a result of accelerating social and political transformations. The intellectual remains unable to keep pace with his new roles, due to his attachment to the past or his adherence to outdated theoretical frameworks, which has prevented him from playing an effective critical role. The study concludes that the true intellectual is the one who produces awareness and leads the masses in confronting authoritarianism, not one who is content with theorizing in academic ghettos.

Keywords: Intellectual, modernity, Arab intellectual, ideological modernity, development, Arab society.

Copyright **:**Latakia University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

** **Assistant Professor, Department of Sociology, Faculty of Arts, Latakia University, Latakia, Syria.**
* **PhD Student, Department of Sociology, Faculty of Arts, Latakia University, Latakia, Syria.**

المثقف العربي وأزمة الحداثة الأيديولوجية في سياق التطور التاريخي للمجتمع العربي

د.عادل العلي**

سامر أسعد*

(تاريخ الإيداع 5 / 2 / 2025. قبل للنشر في 11 / 5 / 2025)

□ ملخّص □

هدف البحث إلى استكشاف دور المثقف العربي في مواجهة أزمة الحداثة الأيديولوجية في سياق التطور التاريخي للمجتمع العربي، واستخدم المنهج النقدي التحليلي، طريقة تحليل النصوص الفكرية، انطلق البحث من تحليل مفهوم المثقف بوصفه فاعلاً في الحقل الرمزي والاجتماعي، ليبيّن أن نشاطه محكوم بالاشتباك الدائم مع الأيديولوجيا، إما بوصفها إطاراً نقدياً يوجّه التفكير، أو قيداً يسلبه استقلاله النقدي حين يتحول إلى أداة في يد السلطة أو السوق. كما ناقش البحث العلاقة الإشكالية بين المثقف والحداثة المستوردة التي وصلت إلى العالم العربي محمّلة بتناقضات التغريب والعلمنة، مقابل تراث محلي محافظ، ما ولّد توتراً بين التبني والممانعة. وتظهر أزمة المثقف أيضاً في علاقته بالسلطة، حيث يتأرجح بين خطابين: خطاب السلطة المؤدلج وخطاب المثقف المعارض، الذي إن تحوّل إلى سلطة بديلة فقد مصداقيته. وبيّن البحث أن أزمة المثقف العربي تعمّقت بفعل التحولات الاجتماعية والسياسية المتسارعة، إذ بقي المثقف عاجزاً عن مواكبة أدواره الجديدة، بفعل انشداده إلى الماضي أو تمسكه بأطر نظرية متقادمة، ما حال دون لعبه دوراً نقدياً فاعلاً. ويخلص البحث إلى أن المثقف الحقيقي هو من ينتج الوعي ويقود الجماهير في مواجهة التسلط، لا من يكتفي بالتنظير في المعازل الأكاديمية.

الكلمات المفتاحية: المثقف، الحداثة، المثقف العربي، الحداثة الأيديولوجية، التطور، المجتمع العربي.

حقوق النشر :مجلة جامعة اللاذقية– سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY–NC–SA 04

** أستاذ مساعد، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة اللاذقية، اللاذقية، سورية.

* طالب دكتوراه، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة اللاذقية، اللاذقية، سورية.

مقدمة:

يلعب المثقف دوراً محورياً في تطور المجتمعات عبر العصور، حيث كان بمثابة الضمير الحي الذي يعكس تطلعات الشعوب وآمالها، ويمثل القوة الفكرية الدافعة نحو التغيير والتطور، فمنذ فجر التاريخ، ظهر المثقف كحامل للمعرفة وناقل للحضارة، بدايةً من الفلاسفة والمفكرين في الحضارات القديمة مثل اليونان ومصر وبلاد الرافدين، مروراً بالمفكرين في العصور الإسلامية الذين ساهموا في إثراء العلوم والفكر الإنساني، وصولاً إلى المثقف في العصر الحديث الذي أصبح محوراً أساسياً في مواجهة التحديات الفكرية والاجتماعية والسياسية. وقد تعددت أدوار المثقف بين كونه ناقداً للوضع القائم، ومحفزاً للتغيير، وجسراً بين التراث والحداثة، ومصدراً لإعادة بناء الوعي الاجتماعي في ظل التحولات الكبرى.

وفي السياق العربي، برز المثقف عبر الحقب الزمنية المختلفة كفاعل أساسي في تشكيل المشهد الثقافي والفكري، حيث ساهم في إحياء التراث العربي الإسلامي، وواجه التحديات الناتجة عن الاستعمار والنهضة القومية، وسعى إلى تحقيق التوازن بين القيم التقليدية ومتطلبات العصر الحديث. ومع ذلك، فقد واجه المثقف العربي أزمة أيديولوجية عميقة نتيجة للتحولات الجذرية التي مرت بها المجتمعات العربية، بدءاً من عصر النهضة مروراً بحقبة الاستعمار وما تلاها من صراعات فكرية بين الحداثة والتقليد. فقد فرضت هذه التحولات واقعاً معقداً أفرز تيارات فكرية متباينة، تراوحت بين الانفتاح على الفكر الغربي، والدعوات للعودة إلى الجذور، والتحديات التي فرضتها العولمة وثورة التكنولوجيا الحديثة .

وقد انعكست أزمة الحداثة الأيديولوجية في الوطن العربي على المستويات الثقافية والاجتماعية والسياسية، حيث ظهر انقسام واضح بين التيارات الفكرية المختلفة، وعجز المثقف العربي عن تقديم مشروع فكري متكامل قادر على استيعاب تطلعات المجتمع والحفاظ على هويته في آنٍ واحد. كما أدى تصاعد التحديات الاقتصادية والاجتماعية إلى تعقيد المشهد الفكري، مما وضع المثقف أمام مسؤوليات جسيمة تتطلب منه إعادة النظر في دوره، وتقديم رؤية جديدة تستطيع التوفيق بين مقتضيات الحداثة ومتطلبات الهوية الثقافية .

وفي هذا الإطار، يواجه المثقف العربي اليوم تحدياً مصيرياً يتمثل في ضرورة إيجاد حلول إبداعية للخروج من هذه الأزمة الفكرية، وذلك من خلال تبني خطاب نقدي بنّاء قادر على تقديم إجابات واقعية للتحديات المعاصرة، وتعزيز ثقافة الحوار والانفتاح دون فقدان الخصوصية الثقافية. كما أن دوره في ترسيخ قيم الديمقراطية، والحرية الفكرية، والتنمية الثقافية بات ضرورة ملحّة في سبيل بناء مجتمع عربي قادر على مواكبة متغيرات العصر دون التفريط في مقوماته الحضارية.

يسعى هذا البحث إلى استعراض تطور أزمة الحداثة الأيديولوجية في المجتمع العربي، وتحليل تأثيرها على مسار الفكر العربي، مع التركيز على الدور المحوري الذي يمكن أن يؤديه المثقف العربي في مواجهة هذه الأزمة، وذلك عبر استشراف آفاق جديدة يمكن من خلالها تحقيق التوازن بين الحداثة والهوية، والمساهمة في تشكيل وعي عربي قادر على الانخراط في العالم المعاصر دون التخلي عن تراثه وقيمه الأصيلة.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

يمر العالم العربي بتحولات فكرية واجتماعية وسياسية متسارعة، أفرزت حالة من التوتر الأيديولوجي بين موروث ثقافي متجذر ومتطلبات حداثية فرضتها العولمة والتغيرات العالمية المتلاحقة، وفي ظل هذا الواقع المعقد، يواجه المثقف العربي أزمة وجودية تتمثل في التوفيق بين الأصالة والمعاصرة، وبين الحفاظ على الهوية الثقافية والانفتاح على الحداثة. فقد أفرزت التحديات السياسية والاجتماعية المتصاعدة واقعاً جديداً جعل المثقف العربي في موقع المواجهة

أمام تيارات فكرية متضاربة، تتراوح بين الدعوات للتمسك بالتراث والتقاليد، والتوجهات التي تدعو إلى تبني النماذج الحداثية الغربية بشكل كامل.

إن أزمة الحداثة الأيديولوجية التي يعيشها المجتمع العربي اليوم ليست وليدة اللحظة، بل هي امتداد لتحولات تاريخية شهدها العالم العربي منذ عصر النهضة مروراً بفترات الاستعمار والاستقلال وصولاً إلى مرحلة العولمة والثورة الرقمية، وتجلت هذه الأزمة في غياب مشروع ثقافي متكامل قادر على مواجهة التحديات الفكرية والسياسية والاجتماعية التي تعترض طريق التنمية والاستقرار. فمع تصاعد الاستقطاب الفكري والسياسي، وتزايد الفجوة بين النخب المثقفة والقاعدة المجتمعية، أصبح المثقف العربي في موقف صعب يفرض عليه إعادة النظر في دوره وأساليبه لمواجهة التحديات الراهنة بطريقة أكثر فاعلية.

إن هذه الإشكالية تضع المثقف العربي أمام مسؤولية مزدوجة، تتمثل في تجاوز التحديات الداخلية، مثل ضعف الحريات الفكرية والانقسامات السياسية، والتعامل مع التحديات الخارجية التي تفرضها القوى الثقافية والاقتصادية العالمية. ومن هنا، تبرز الحاجة إلى تحليل هذه الأزمة من مختلف جوانبها الثقافية والاجتماعية والسياسية، واستكشاف السبل الممكنة لتمكين المثقف العربي من القيام بدوره كعنصر تغيير وبناء في مجتمعه. وهنا تتمحور مشكلة البحث في السؤال الرئيس:

ما دور المثقف العربي في مواجهة أزمة الحداثة الأيديولوجية في سياق التطور التاريخي للمجتمع العربي؟

ويتفرع عنه مجموعة من التساؤلات:

1-ما المكانة الاجتماعية التي حظي بها المثقف العربي في سياق التطور التاريخي للمجتمع العربي؟

2-ما أنواع المثقفين في سياق التطور التاريخي للمجتمع العربي؟

3-ما دور المثقف العربي في مواجهة أزمة الحداثة الأيديولوجية من الناحية الدينية في سياق التطور التاريخي للمجتمع العربي؟

4-ما دور المثقف العربي في مواجهة أزمة الحداثة الأيديولوجية من الناحية الاجتماعية في سياق التطور التاريخي للمجتمع العربي؟

5-ما دور المثقف العربي في مواجهة أزمة الحداثة الأيديولوجية من الناحية السياسية في سياق التطور التاريخي للمجتمع العربي؟

أهمية البحث وأهدافه:

أهمية البحث:

يبحث في مواضيع مهمة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً ومباشراً بمجالات علم الاجتماع، حيث يرتبط بعلم الاجتماع الثقافي، وعلم الاجتماع السياسي، والفكر الاجتماعي. ويُسهم البحث في إثراء الأدبيات العلمية المرتبطة بدور النخبة المثقفة في مجالات المجتمع عامةً وفهم دورها في مواجهة أزمة الحداثة الأيديولوجية في المجالات الاجتماعية والسياسية والدينية خاصةً. ورغم تعدد الدراسات حول تأثير النخبة المثقفة، فإن التركيز على دورها في مواجهة أزمة الحداثة على مر العصور لا يزال بحاجة إلى مزيد من البحث المتعمق. كما يساعد البحث في تقديم فهم دقيق ومبني على أسس علمية لنشوء أزمة الحداثة وأبعادها الاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية، مما يفتح المجال لدراسات مستقبلية تتناول تأثيراتها

طويلة المدى. إضافة إلى ذلك قد يساهم البحث في تقديم توصيات وإرشادات حول كيفية تعزيز دور الفئة المثقفة والتي تعتبر نخبة المجتمع في التعامل مع أزمة الحداثة الأيدولوجية بغية تعزيز مفهوم الحداثة المتصالحة مع الهوية الثقافية العربية.

أهداف البحث:

1-التعرف إلى المكانة الاجتماعية التي حظي بها المثقف العربي في سياق التطور التاريخي للمجتمع العربي.

2- التعرف إلى أنواع المثقفين في سياق التطور التاريخي للمجتمع العربي.

3-التعرف إلى دور المثقف العربي في مواجهة أزمة الحداثة الأيديولوجية من الناحية الدينية في سياق التطور التاريخي للمجتمع العربي.

4-التعرف إلى دور المثقف العربي في مواجهة أزمة الحداثة الأيديولوجية من الناحية الاجتماعية في سياق التطور التاريخي للمجتمع العربي.

5-التعرف إلى دور المثقف العربي في مواجهة أزمة الحداثة الأيديولوجية من الناحية الاجتماعية في سياق التطور التاريخي للمجتمع العربي.

المفاهيم والمصطلحات:

الصفوة المثقفة (Intelligentsia): صفوة قريبة من مراكز السلطة أو صفوة من الكتاب وذوي المكانات الثقافية ادعت لنفسها هذا الحق. ولا شك أن مثل هذه الجماعة تتميز بشخصية خاصة بها، بل إن لها في بعض الأحيان بعض النفوذ السياسي والاجتماعي. ويستخدم الشيوعيون هذا المصطلح لوصف الطبقات المثقفة البرجوازية في الدول الرأسمالية. [1]

ورجال الفكر (Intellectuals): هم الأفراد الذين يتميزون عن باقي أعضاء المجتمع بالخبرة والمعرفة وقد يحصلون عليها عن استعداد أو كالتزام مترتب على وظيفتهم المهنية التي تستدعي استخدام مثل هذه الخبرة والمعرفة. [2]

الحداثة (Modernism): مذهب تفضيل كل ما هو عصري أو مستحدث عن كل ما هو قديم، وتتلخص الحداثة كظاهرة اجتماعية بثلاثة جوانب:

1) الإبداع والتغيير والسيطرة على الظواهر واخضاعها لصالح الإنسان باستخدام المنهج العلمي.**2**

2) التنوع والمرونة في التركيبات الاجتماعية.**3)**

3) توفير المهارات والمعارف الفردية للمعيشة في عالم تكنولوجي متقدم. [3]

الأيديولوجية (Ideology): هي ناتج عملية تكوين نسق فكري عام يفسر الطبيعة والمجتمع والفرد ويطبق عليها بصفة دائمة. وتتشكل أيديولوجية كل جماعة ببيئتها الجغرافية والاجتماعية ونواحي نشاطها. [4]

التطور (Evolution): نمو بطيء متدرج يؤدي إلى تحولات منظمة ومتلاحقة تمر بمراحل مختلفة ترتبط فيها كل مرحلة لاحقة بالمرحلة السابقة كتطور الأفكار والأخلاق والعادات. وهناك أشكال من التطور منها "التطور الخلاق"

[1] .معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د.ت.ن. ص222

[2] معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، د.ت.ن. ص222

[3] المرجع السابق. ص272

[4] المرجع السابق، ص206.

ويعني أن التطور خلق مستمر، وتجديد متواصل وتغير لا يتقطع حسب التوجيه الذي تمليه الحياة الدافعة الكامنة في الإنسان.

والتطور الثقافي والمقصود به نمو الثقافة من الأشكال البسيطة المفككة إلى أشكال معقدة متكاملة عن طريق التفاعل المستمر. [5]

المجتمع (Society): جماعة من الناس يعيشون معاً في منطقة معينة، وتجمع بينهم ثقافة مشتركة ومختلفة عن غيرها، وشعور بالوحدة. كما ينظرون إلى أنفسهم ككيان متميز. ويتميز المجتمع كتجمع الجماعات ببنيان من الأدوار المتصلة ببعضها والتي تتبع في سلوكها المعايير الاجتماعية. ويتضمن المجتمع جميع النظم الاجتماعية الأساسية الضرورية لمواجهة الحاجات البشرية الأساسية وهو مستقبل لا بمعنى اكتفائه الذاتي التام اقتصادياً ولكن بمعنى شموله لجميع الأشكال التنظيمية الضرورية لبقائه. [6]

منهجية البحث:

منهج البحث: اعتمد البحث المنهج النقدي التحليلي.

نوع البحث: من البحوث النظرية التحليلية النقدية.

طريقة البحث: الطّريقة المستخدمة في البحث الرّاهن هي تحليل النصوص الفكرية والمقالات والكتب التي تناولت علاقة المثقف العربي بالحداثة، ومراجعة التحليلات النقدية للأيديولوجيات المختلفة وتأثيرها على الفكر العربي.

الدراسات السابقة:

1: الدراسات المحلية

دراسة إسعاف محمد حمد. (2014). بعنوان: "المثقف العربي: إشكالية الدور الفاعل،" مجلة جامعة دمشق، المجلد 30، ع43.

تناولت هذه الدراسة دور المثقف الفاعل في سياق تحولات المجتمع العربي، إذ تلاحظ الباحثة أن الأدبيات العربية أسرفت في الحديث من دور المثقف، فتحولت مسألة المثقف إلى مقولات لا يتوقف الكلام عنها فيما زعمت، وقدمت هذه الأدبيات تأويلات متعددة، ومن ثمّ فإن الحديث عن دور المثقف أصبح خطاباً أدبياً، فالمثقفين ذوو أنماط وشخصيات متعددة، وعليهم أن يعيدوا قراءة وظيفتهم من جديد، كما إنه علينا تأكيد أن ظرفية هذه المرحلة هي أمثل مناسبة لإعادة وعي المثقفين ودورهم بوصفهم فئة اجتماعية مهمة، فالإبداع يشكل طاقة يحتاج المثقف لها لإنجاز التمرين النقدي الضروري لعمله، كما أن الأهم هو أن يقوم المثقف بإتقان طرح الأسئلة على نفسه ويعترف بأخطائه توصلاً لبناء دور جديد، كل هذه المسائل والإشكالات في وضعية المثقف داخل السياق الاجتماعي تحتاج لمراجعة نقدية بنظر الباحثة، ولهذا تحديداً ينبغي تناول المسألة من منظور نقدي.

[5] المرجع السابق، ص 145.

[6] المرجع السابق، ص 400.

2: الدراسات العربية

2-1- دراسة رائف زريق. (2019). بعنوان: إدوارد سعيد ودور المثقف، مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت، عدد 118.

يلاحظ الباحث أن كتابة إدوارد سعيد عن المثقف ودور المثقف تكاد ترتبط جوهرياً بمفاهيم أخرى ساهم فيها سعيد مساهمة حاسمة، وأهم هذه المفاهيم مفهوم النقد، فحديثنا عن المثقف من دون الحديث عن النقد مسألة ضرورية لفهم سياق فكر سعيد، وعلى أي حال فإن النقد يعتبر هنا أداة وممارسة ملازمة للمثقف باعتباره ذاتا ًتسأل وتقف في مواجهة أي فكر، ومن عيوب المثقف التي قد يتورط بها هنا أن تصوره عن ذاته يقوم على اعتبار أن هناك هوية ثقافية سرمدية مكتفية ومتماهية مع ذاتها، بينما إذا ما نظرنا إلى موقع المثقف المختص والمثقف السياسي، فإنه يبدو لنا أن المثقف يقع في منطقة وسطى بين رجل السياسة الذي يدعي إنه صاحب النظرة الأشمل ورجل الاختصاص صاحب النظرة الأضيق، وعلى هذا فإن نظرة إدوارد سعيد نقدية بامتياز وهي تقوم على تفكيك دور المثقف وتصوراته الثقافية عن ذاته ووضعها تحت مجهر النقد.

2-2- دراسة فوزي عمر سالم الحداد. (2019). بعنوان: "تأطير مفهوم المثقف"، صادرة عن حوليات آداب عين شمس التابعة لجامعة عين شمس، المجلد 47.

يتناول هذا البحث محاولة المثقف للاقتراب من فهم ما يحيط به من إشكاليات منهجية ودلالية في محاولة للإجابة عن سؤال ما هو المثقف، حيث إن طرح ما هو المثقف كفيل بإثارة نقاش طويل قد لا ينتهي بسهولة، وذلك بسبب عدد من الاختلافات المعرفية والأيديولوجية، وإن واقع اليوم يفرض على المثقف العربي أن ينهض متجاوزاً كبوته الذاتية، على أن يعيد التفكير فيما يحدث في علاقته مع الجمهور والمجتمع والسياق التاريخي، كما عليه أن يتجاوز ثنائية المثقف والسلطة التي تتحكم في تفكير كثير من المثقفين العرب، فالمثقف الحقيقي لا يموت ولا ينتهي بل يتجدد وفق علاقة تقوى من خلال نقد الذات.

3: الدراسات الأجنبية:

3-1. The Intellectual as a Public Figure: From the Enlightenment to the 21st Century" Rainer Forst, Cambridge 2009, Cambridge University Press

يتناول **راينر فورست** في هذا الكتاب دراسة دور المثقف في المجتمع بشكل موسع، متتبعاً تطور هذه الوظيفة من عصر التنوير وصولاً إلى القرن الواحد والعشرين. يعرض الكتاب المثقف ليس فقط باعتباره شخصاً يمتلك المعرفة أو الأفكار، بل كـ "شخصية عامة" تسهم بشكل فعال في تشكيل القيم الاجتماعية والسياسية. المفهوم المركزي الذي تمت دراساته في هذه الدارسة هو "المثقف كشخصية عامة ." حيث يحدد فورست هذه الشخصية بوصفها شخصاً ليس معنياً فقط بالبحث الأكاديمي أو تطوير النظريات الفكرية، بل لديه أيضاً مسؤولية اجتماعية تجاه التفاعل مع القضايا العامة ومخاطبة الجمهور في اللحظات الحرجة أو الأزمات الاجتماعية والسياسية.

وفي نفس السياق، يعرض فورست تطور دور المثقف منذ التنوير، حيث كان يتمتع بتأثير كبير في تشكيل النقاشات العامة والتغيير الاجتماعي، مروراً بالقرن العشرين حيث شهدنا تغييرات في طبيعة هذا الدور بسبب التحولات السياسية والتكنولوجية، وصولاً إلى العصر الحالي حيث أصبحت المنصات العامة والميديا تلعب دوراً مهماً في إعادة تشكيل هذا الدور.

3-2 Cultural Sociology: An Introduction", David Held & Henrietta L. Lutz, Oxford, Polity Press, 2007.

هذه الدارسة، هي دراسة أكاديمية شاملة تتضمن مقدمة موسعة إلى مجال السوسيولوجيا الثقافية، وهي إحدى التخصصات الأساسية في علم الاجتماع التي تدرس العلاقة بين الثقافة والمجتمع. يهدف الكتاب من خلالها إلى استكشاف كيف تشكل الثقافة الأبعاد المختلفة للسلوك الاجتماعي والهياكل الاجتماعية، وكيف تؤثر على تشكيل الهويات الاجتماعية، والأنماط السلوكية، والمعتقدات. ومن خلالها، يقدم المؤلفان تحليلاً نقدياً لعدة مفاهيم جوهرية في السوسيولوجيا الثقافية، مثل الهوية الثقافية، الرموز، الممارسات الاجتماعية والنظم الرمزية.

كما تتبع منهجاً متعدد التخصصات، حيث تدمج بين مفاهيم ونظريات من علم الاجتماع، الفلسفة، الأنثروبولوجيا، وعلم النفس الاجتماعي، مع التركيز على تأثير العوامل الثقافية على تشكيل البنى الاجتماعية. بالإضافة إلى ذلك، يسلط المؤلفان الضوء على كيفية تأثير التغيرات الثقافية والسياسية على المجتمع، وكيف يمكن للثقافة أن تكون عنصراً محورياً في فهم الديناميكيات الاجتماعية، سواء في السياقات المحلية أو العالمية.

كما يناقش الكتاب العلاقة بين الثقافة والسلطة، ويتناول الدور الحيوي للثقافة في تشكيل سياسات الهوية والانتماء، فضلاً عن استكشاف كيفية تأثير العولمة على الثقافات المحلية والعالمية. يقدم المؤلفان أيضاً دراسات حالة معاصرة لفهم أفضل لكيفية تأثير التغيرات الثقافية على الهياكل الاجتماعية في العصر الحديث، مما يجعل الكتاب مرجعاً أساسياً للباحثين في السوسيولوجيا، الدراسات الثقافية، وعلم الاجتماع السياسي.

تعقيب على الدراسات السابقة:

لقد سلّطت الّدراسات السابقة الضوء على دور المثقف العربي في مجتمعاته، وتبين تنوع أدواره التي أداها عبر التاريخ في مجالات اجتماعية، ثقافية، دينية، وسياسية. فمن خلال أعمال **راينر وغيره من الباحثين الأجانب**، نلحظ كيف سردوا تطورات وظيفة المثقف العربي ودوره في مواجهة الأزمات الاجتماعية والسياسية، سواء على المستوى العالمي أو في العالم العربي على وجه الخصوص. بينما قدّم **عبد الله العروي** و**حسن حنفي** في دراساتهما تحليلاً معمقاً لدور المثقف العربي في تجديد الفكر الديني والاجتماعي في عصر الحداثة، محاولاً التوفيق بين التراث والتحديات الحديثة. تعد هذه الدراسات مرجعاً مهماً لفهم تحول مفهوم المثقف وتفاعلاته مع محيطه الفكري والسياسي، وسيقدم هذا البحث شرحاً مفصلاً جامعاً نسلط فيه الضوء على ما يجب أن يكون عليه دور المثقف العربي في مواجه أزمة الحداثة وما التحديات التي يواجهها وتعرقل هذا الدور.

الإطار النظري:

أولاً: المثقف العربي ودوره في سياق التطور التاريخي للمجتمع

أ- مفهوم المثقف:

ليس من السهولة بمكان إيجاد تعريف محدد للمثقف، ومتفق عليه في الخطاب العربي أو في غيره من الثقافات، فهناك قضية خلافية بين المثقفين أنفسهم في تعريف ذاتهم، وأدوارهم، وصفاتهم فيبقى هذا المفهوم ضبابياً، مع كثرة استعماله ورواجه.

ويرجع الجابري هذه الضبابية إلى نقل مفهوم المثقف من الثقافة الأوروبية إلى العربية، دون أن تتم تبيئته بالصورة التي تمنحه مرجعية محددة. [7]

وعلى العكس من هذه الرؤية |(الجابرية) يعد (أركون) المثقف هو الذي تبنى علم الغرب وجماليته ونمط حياته وإيديولوجيته. والمثقف برأيه ذلك الرجل الذي يتحلى بروح مستقلة، محبة للاستكشاف والتحري، وذات نزعة نقدية واحتجاجية تشتغل باسم حقوق الروح والفكر فقط. [8]

أما (ادوارد سعيد) فيعد المثقف هو من وهب ملكة عقلية لتوضيح رسالة أو وجهة نظر أو موقف أو فلسفة، أو رأي أو تجسيد أي من هذا وتبيانها بألفاظ واضحة لجمهور ما ونيابةً عنه. [9]

وفي هذا السياق يقول سعيد هل المثقفون فئة كبيرة جداً من الناس، أم نخبة رفيعة المستوى، وضئيلة العدد إلى أبعد حد؟ ثمة تناقض في الجوهر حول تلك المسألة بين اثنين من أشهر الأوصاف التي أطلقت على المثقفين في القرن العشرين. فالماركسي الإيطالي أنطونيو غرامشي، وهو المناضل والصحفي والفيلسوف السياسي كتب في "دفاتر السجن" أن بإمكان المرء القول "إنّ كل الناس مثقفون، ولكن ليس لهم كلّهم أن يؤدوا وظيفة المثقفين في المجتمع" [10]

ويحاول غرامشي أن يظهر إمكانية تصنيف الذين يؤدون الوظيفة الفكرية في المجتمع إلى نوعين، يضم أولهما المثقفين التقليديين مثل المعلمين، ورجال الدين، والإداريين، ممن يواصلون أداء العمل نفسه من جيل إلى جيل. ويشمل ثانيهما المثقفين العضويين، الذين اعتبرهم غرامشي مرتبطين على نحو مباشر بطبقات أو بمؤسسات تجارية تستخدم المثقفين لتنظيم المصالح، واكتساب المزيد من القوة، وزيادة السيطرة. ولذا يقول غرامشي عن المثقف العضوي: "إنّ منظم الأعمال الرأسمالي يخلق إلى جانبه التقني الصناعي، والاختصاصي في الاقتصاد السياسي، ومسؤولين لإنشاء ثقافة جديدة أو نظام قانوني جديد إلى ما هنالك". وفي عالم اليوم وفقاً لغرامشي، يعتبر خبير الإعلان أو العلاقات العامة، الذي يستنبط أساليب تضمن لمسحوق غسيل أو شركة طيران حصة أكبر من السوق مثقفاً عضوياً. [11]

وثمة خطراً ناجماً عن احتمال اختفاء وجه المثقف أو صورته في خضم بحر من التفاصيل، واحتمال تحوّل المثقف إلى مجرد مهني آخر أو أحد الوجوه في تيار اجتماعي ما... ولكنني أريد الإصرار على أنّ المثقف هو فرد له في المجتمع دور علني محدد لا يمكن تصغيره إلى مجرد مهني لا وجه له، أو عضو كفوء في طبقة ما لا يهتم إلّا بأداء عمله. فالحقيقة المركزية بالنسبة إليّ، هي أن المثقف وهب ملكة عقلية لتوضيح رسالة، أو وجهة نظر، أو موقف، أو فلسفة، أو رأي، أو تجسيد أي من هذه، أو تبيانها بألفاظ واضحة، لجمهور ما، وأيضاً نيابة عنه. [12]

وإن تحديد بعض الجوانب التعريفية لمن هو مثقف لم يحسم ولا يحسم مسائل تظل مفتوحة من ضمنها أصناف المثقفين وتوجهاتهم المعرفية، ولئن كان المثقف الناقد هو من يجب النظر أليه كونه الأكثر تمثلاً لمفهوم المثقف ودوره، فإن ذلك لا ينفي مزاحمة أصناف أخرى من المثقفين لاحتلال موقعهم في فضاء التعريف، إذ يرى أحد المفكرين العرب أن هناك

---

[7] الجابري، محمد عابد. (2000). المثقفون في الحضارة العربية. محنة ابن حنبل ونكبة ابن راشد. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. ص14.

[8] أركون، محمد. (1990). بعض مهام المثقف العربي اليوم، ترجمة هاشم صالحن مجلة الوحدة، ع66. ص 12.

[9] الرفاعي، زيد. (2009). أدوارد سعيد وأسلوب المثقف، الثقافة الجديدة. ع 331. ص73.

[10] سعيد، إدوارد. (1993). ترجمة: عسّان غصن. صور المثقف مندى وشبكة التنويريين العرب. ص19.

[11] سعيد، 1993، ص22.

[12] سعيد، 1993، ص28.

أربعة أنماط للمثقفين وهي المثقف الملحمي، والمثقف البدائلي، والملف التراجيدي، والمثقف المقاول. هذه الأنماط ليست متمايزة في الواقع كما يبدو من تصنيفها، إذ يوجد بينها تداخل، وقد يفضي بعضها إلى بعض.

وفي العودة إلى أصل المفهوم ونشأته، وتطوره التاريخي، نجد أن المثقف لم ير النور إلا في الأزمنة الحديثة، في اللغة الفرنسية حصراً، قبل أن تنتقل عدوى المفهوم إلى اللغات الأخرى، وكان لابدّ من الانتظار حتى أواخر القرن التاسع عشر (1898) كي يكتسب المفهوم دلالته السياسية والاجتماعية الفعلية بعد قضية الضابط الفرنسي اليهودي (دريفوس) الذي حكم عليه بالسجن والطرد من الجيش بتهمة الخيانة عام (1896)، قبل أن تعاد محاكمته ويبرأ نتيجة تدخل الروائي (إميل زولا)، والحملة التي قادها موقعوا العريضة الذين تجاوز عددهم الألفين، والتي وصفها (جورج كليمانصو)الذي كان في حينها زعيم اليسار الراديكالي، بأنها (يقظة عامة للمثقفين). [13]

وبعد استعراض طائفة من التعاريف المتعلقة بمفهوم "المثقف" يستخلص أحد الباحثين تعريفاً جامعاً له أراه مناسباً من حيث المهام الواجبة في حقه، فالمثقف عنده هو "ذلك الشخص المتعلم الواعي المشارك" وصفة المشارك ذلك الشخص الذي تعلم وأدرك واستوعب وتفهم قضايا مجتمعه ثم نزل إلى ساحة الميدان للمشاركة التطوعية في العمل الوطني لبناء مجتمعه. أياً كان نمط مشاركتها وطبيعتها ومستواها ودرجاتها. بمعنى ألّا يقف منعزلاً.. عازفاً.. لا مبالياً إزاء ما يحدث في مجتمعه. وهذه المشاركة تحدث طواعيةً مدفوعاً إليها اندفاعاً ذاتيا..". [14]

ب- دور المثقف في المجتمع:

يرى هابرماس أنّ النخبة المثقفة هي محرك التغيير في المجتمعات الحديثة، فأي مجتمع ليس له نخبة مثقفة فاعلة تاريخياً لا يمكن أن يتغير إلى الأحسن، وهو يتفق إلى حد كبير مع المفكر الإيطالي أنطونيو غرامشي الذي يرى أن للمثقف العضوي دور أساسي في التغيير وهو وحده القادر على تكوين طبقة جديدة من المثقفين العضويين المرتبطين بهموم الناس وقضاياهم ونفس الدور الحضاري لذلك المجتمع الشيء نفسه وجد عند الفرنسي بيير بورديو. [15]

ويقول غرامشي أن المثقف يمتلك مهمة حضارية ودوراً ريادياً في صيرورة التغيرات والتحولات البنيوية التي يتعرض لها مجتمعه، متسلحاً يفكر تنويري طلائعي وقناعات مبدئية تستهدف الواقع وتحالفاته السائدة، قاصداً تغيير ملامحه السوداوية من ظلم وفقر وتخلف وجهل. [16]

ولقد لعب المثقفون منذ القديم أدواراً حاسمة في تاريخ المجتمعات الإنسانية، وساهموا في رقيها وتفاعلوا بأشكال مختلفة مع التغيرات والتحولات التي شهدتها مجتمعاتهم، وهذا لتميز المثقف بميزات تجعله أهلاً لأن يكون المحرك لصيرورة الأحداث في مجتمعه، والمثقف هو بمثابة مرآة حضارية لأي أمة، ومن خلال هذه المرآة يمكن أن تتعرف بسهولة على مدى قوة أو ضعف هذه الأمة من خلال ما يطرحه من أفكار ورؤى حول العلم والإنسان والمجتمع، والمثقف هو ضمير الإنسانية، ويستمد مكانته داخل المجتمع من خلال الأدوار التي يؤديها، من خلال قوة أفكاره وتطورها ومواكبتها للتغيرات ولجميع الظروف والمتقلبات الحياتية. [17]

---

[13] حمد، إسعاف محمد. (2014). المثقف العربي: إشكالية الدور الفاعل. مجلة جامعة دمشق، المجلد 30، ع 43. ص345.

[14] شبار، سعيد. (2005). النخبة والايديولوجيا والحداثة. بيروت: دار الهادي. ص17

[15] علاق، أمينة. (2017). نخبة أم نخب: قراءة في المفهوم، الأدوار والإشكاليات. جامعة قسنطينة3. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. ع28. ص 179.

[16] عبود، نضال. (2006). دور المثقف، الحوار المتمدن، ع15.ص 82.

[17] معط الله، أحمد. (2016). رؤية إدوارد سعيد للمثقف العربي بين الالتزام والأيدولوجيا. جامعة تبسة: مجلة العلوم الإنسانية، ع5.

ويرى إدوارد سعيد أنّ المثقف هو فرد منح قدرة على تمثيل رسالة أو وجهة نظر أو موقف أو رأي، وتجسيدها والنطق بها أمام جمهور معين، ومن أجله ومهمته هي أن يطرح على الناس الأسئلة المربكة وأن يواجه الأفكار التقليدية والعقائدية.

والمثقف حسب إدوارد سعيد شخص يرهن وجوده كله بالإحساس النقدي وهو إحساس يشي بعدم تقبل الصيغ السهلة، أو الأفكار الجاهزة، أو البراهين الناعمة الملائمة تماماً وبالتالي فإن رسالته هي الحفاظ على حالة التنبه الدائم والسهر على القيم المطلقة كالعدالة والعقل. [18]

وعلى هذا الأساس فإن المثقف حسب إدوارد سعيد لا يستكين إلى كتاباته ولا يتقوقع على نفسه ولا يكون حبيس الفكر فقط بل يجب أن يلعب دوراً اجتماعياً وحضارياً من خلال وقوفه أمام الأفكار الجاهزة المؤدلجة ورفضها ونقدها، وفي هذا إشارة إلى دوره في رفض الإيديولوجيات المغلقة التي تفرضها أشكال الحكومات الدكتاتورية وتمررها عن طريق الخطاب السلطوي، ويؤكد إدوارد سعيد على أنّ رسالة المثقف رسالة حضارية تتجلى في حرصه على الحفاظ على القيم المطلقة كالعدالة والحقيقة والعقل، ولهذا نجد المثقف الفعلي القائم بدوره يقف وجهاً لوجه أمام السلطة، رافضاً لأيديولوجيتها التي تحاول طبع المجتمع بها بطرق مختلفة، فتتعاظم الأدوار التي يجب على المثقف أن يقوم بها، وفي نفس الوقت يبقى المثقف متردداً في كثير من الأحيان بين الالتزام الفكري فيبقى معرفياً في مهمته، وبين الانخراط في السياسة ورفض أيدولوجية السلطة. [19]

والمثقف في جوهره ناقد اجتماعي. إنه الشخص الذي همّه أن يحدد ويحلل ويعمل، من خلال ذلك، على المساهمة في تجاوز العوائق التي تقف أمام بلوغ نظام اجتماعي أفضل، نظام أكثر إنسانية وأكثر عقلانية. إنه بذلك يصبح ضمير المجتمع، والناطق باسم قوى التقدم التي لا تخلو منها أية مرحلة من مراحله التاريخية. ولا مناص من أن ينعت، بأنه شخص يثير العراقيل والفتن، من طرف الطبقة المسيرة التي تعمل على الحفاظ على الوضع القائم، ومن جانب "العمال الفكريين" خدام تلك الطبقة، الذين يتهمونه بأنه خيالي طوباوي، ويصفونه في أحسن الأحوال بأنه ميتافيزيقي، وفي أسوئها بأنه متمرد. وبعبارة أخرى إن "المثقفون" وفقاً لهذه التحديدات، هم أولئك الذين يعرفون ويتكلمون، يتكلمون ليقولوا ما يعرفون، وبالخصوص ليقوموا بالقيادة والتوجيه في عصر صار فيه الحكم فناً في القول، قبل أن يكون شيئاً آخر. [20]

ت- المثقف العربي في سياق التطور التاريخي للمجتمع العربي:

إن المثقفين في العصر الوسيط الأوروبي ظهروا من خلال الاتصال بالعرب، الاتصال التجاري أولاً، الذي كان وراءه نشأة المدن وترعرعها، والاتصال الفكري ثانياً الذي كان وراء يقظة العقل الأوربي وتفتحه، وإنّ الحركة العلمية التي شهدتها مدن أوروبا في القرن الثاني عشر الميلادي (حركة الترجمة وقيام الجامعات والانكباب على دراسة العلوم والفلسفة العربية/اليونانية) كانت هي "الرحم الذي تمخض عن المثقفين في أوروبا، ذلك ما يقرره لوكوف في كتابه الذي صدر في الخمسينيات والذي صار منذ ذلك الوقت مرجعية لكل باحث في تاريخ الثقافة والمثقفين في أوروبا العصور الوسطى، ولعل آخرهم، وليس الأخير، آلان دي ليبيرا الذي صدر له مؤخراً كتاب بعنوان التفكير في العصر الوسيط،

[18] سعيد، إدوارد، ترجمة محمد عناني. (2006). المثقف والسلطة. رؤية للنشر والتوزيع. ص 10- 11.

[19] معط الله. 2016. ص52.

[20] الجابري. محمد عابد. (2000). المثقفون في الحضارة العربية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. ص 25.

أكد فيه هو الآخر على أهمية الدور الذي كان ل"التراث المنسي"، التراث العربي المترجم إلى اللاتينية. [21] وبذلك كان أبرز دور للمثقفين العرب القدامى في ظهور المثقفين في الحضارة الأوروبية. وكانت الحقيقة التاريخية التي تفرض نفسها هي أنّ المثقفين في العصور الوسطى الأوروبية هم نتاج المثقفين في الحضارة الإسلامية. ومن هذه النتيجة انطلق الجابري في البحث داحل معطيات الحضارة العربية الإسلامية عن أولئك الذين يصح أن يطلق عليهم اسم "المثقفون". ومن هنا انتقل الجابري للحديث عن ظهور المثقفين في الإسلام ليقول بأنه كانت الجماعة الإسلامية الأولى زمن النبي وعلى عهد الخلفاء الراشدين، وإلى أواخر عهد عثمان، أشبه ما تكون بخلية واحدة لا انقسام فيها. وعندما استفحل الخلاف بين عثمان ومعارضيه بدأ الانقسام، وكان من أهم مظاهر الانقسام، هذه الظاهرة التي سجلها أبو بكر بن العربي الفقيه المتكلم الأشعري الأندلسي بقوله: "كان الأمراء قبل هذا اليوم وفي صدر الإسلام هم العلماء، والرعية هم الجند، فاطرد النظام، وكان العوام القواد فريقاً، والأمراء آخر. ثمّ فصل الله الأمر بحكمته البالغة وقضائه السابق فصار العماء فريقاً والأمراء آخر وصارت الرعية صنفاً وصار الجند آخر، فتعارضت الأمور ولم ينتظم حال الجمهور. كان الأمراء.. هم العلماء، كان الصحابة أمراء وعلماء وفي نفس الوقت، يحكمون بالشرع ويشرعون للحكم. ثمّ حصل خلاف حول الحكم فاستأثر الأمراء بالسلطة وتمسك العلماء بالرأي. حصل استبداد ب"الأمر" أدى إلى استقلال "الرأي" فانفصل العلم والثقافة عن السياسة، وبدأت فئة "المثقفين" الأوائل في الإسلام بالظهور. [22]

ومما يجدر تأكيده هنا أن هؤلاء المثقفين في ذلك الوقت، في النصف الثاني من العصر الأموي خاصة لم يكونوا يشكلون أحزاباً سياسية كما ذهب إلى ذلك كثير من الباحثين المعاصرين. إن الأحزاب السياسية في ذلك الوقت إذا كان لا بد من استعمال هذا الاصطلاح كانت ثلاثة لا غير: حزب بني أمية الحاكمين، وحزب الخوارج المعرضين الثائرين، وحزب الشيعة الذين كانوا يخلدون إلى السكينة تارة ويخرجون على الحكام تارة أخرى، أما هؤلاء المثقفون فلم يكونوا مناصرين لأي حزب من هذه الأحزاب، بل كانوا معارضين لها، لا بوصفهم حزباً، بل كأفراد، كمتكلمين .. لقد كان كل واحد منهم صاحب رأي ومقالة، قد يلتقي بعضهم في فكرة أو فكرتين، وقد يختلفون فقط في طريقة عرضهم لآرائهم الدفاع عنها. بعضهم كان يذهب مع المنطلق العقلاني المتسامح الذي انطلق منه إلى نهايته مما يجعل آراءه تبدو وكأنها "متحررة" أكثر من اللازم، وبعضهم كان ينظر إلى النتائج التي قد يؤدي إليها ذلك المنطلق، إذا فهمت مقطوعة عن أصولها، واذلك يقف بها عند حدود معينة فتبدو آراؤه لذلك في ثوب "محافظ" أما تصنيفهم إلى "أهل الحديث" و"أصحاب الرأي" فهو تصنيف متأخر تم في عصور تالية. [23]

لم يكن المتكلمون في العصر الأموي يشكلون حزباً ولا كانوا فرقاً، بل كانوا "مثقفين" أي علماء متكلمين في القضايا الأساسية التي كانت تشغل الناس في عصرهم. وإذا كان المثقفون في أوروبا خلال العصر الوسيط قد اقترن ظهورهم بنشأة المدن وتأسيس الجامعات والاحتكاك بالثقافة العربية الإسلامية قد ارتبط ظهوره بظهور "الخلاف" وتحوله إلى "فتنة" عملية وفكرية. واتخذوا من المساجد ساحة لعرض آرائهم وتقرير مقالاتهم ونشرها بين الجمهور، لكن لم يكن للثقافات السابقة على الإسلام أي أثر في ظهورهم أو في اتجاه فكرهم. وجاء خطابهم خطاباً اسلامياً محضاً، يستند إلى

[21] الجابري، 2000، ص29.

[22] الجابري، 2000، ص39.

[23] المرجع السابق، ص42.

العقل، ويحتج بالقرآن والحديث، ويتكلم في قضايا إسلامية محض، قضية الإيمان والكفر، وقضية مرتكب الكبيرة، وقضية الجبر والاختيار، والعلم الإلهي وخلق القرآن، وهي قضايا كانت لها أبعاد سياسية ترتبط مباشرة بقضية الإمامة.
وكان موجز مضمون الآراء والأفكار التي ينشرها ويدافع عنها ذلك الجيل الأول من "المثقفين" تدور حول محورين رئيسيين: التسامح من جهة، والتأكيد على حرية الإنسان من جهة أخرى. [24]
وإنّ المتتبع لمنحى دور المثقف في الوطن العربي، يلحظ ذلك التصاعد الحاصل لمعامل التأثير، أثناء الفترة الاستعمارية، حيث اعتبر المثقف أداة فاعلة، في تحريك المجتمع نحو أهداف مثلى وغايات سامية، مست جميع جوانب الحياة المجتمعية: الدينية، الأخلاقية، والاجتماعية..، فساهم في تخليص الأمة العربية من سيطرة الفكر التغريبي الإدماجي، الهادم لأسس ومقومات الأمة، واعتبر بذلك المثقفون، العقل المفكر الذي يستوحي منه الشعب نقطة انطلاقه نحو التقدم، فكانت مشاركتهم فاعلة في الحياة الاجتماعية والوطنية، نلتمس أثرها في الحركة الوطنية والاتجاه الإصلاحي العربي المتشبع بالقيم الإسلامية. لكن بعد انجلاء المستعمر ما فتئ أن أخذ منحى دور المثقف في الانخفاض، وبدأ المثقف يفقد تدريجياً منزلته الريادية، ليؤول إلى وضع متدنٍ إلى حد كبير، أرجعه بعض الدارسين إلى سعي المثقفين إلى تحقيق أغراض شخصية آنية والبحث عن الشهرة ولو على حساب تغييب الحقائق وتزييفها. فانعزل بذلك المثقف عن المجتمع وظل بعيداً عنه، الأمر الذي أوقعه في أزمة فعلية، أفقدته مشروعيته وشككت في مصداقيته أمام عامة الناس. [25]
بعد أن تم تناول مفهوم "المثقف" وما يطرحه من إشكاليات في علاقته بالسلطة والمعرفة والمجتمع، في سياق التطور التاريخي للمجتمع العربي لا بد من التوقف عند المفهومين اللذين يشكلان الإطار الإشكالي الذي يتحرك ضمنه المثقف العربي: الحداثة والأيديولوجية. فالحداثة ليست مجرد تحول زمني أو أسلوب جديد للحياة، بل هي نمط فكري ومعرفي يعيد تشكيل الرؤية للعالم، بما يتجاوز البنى التقليدية. أما الأيديولوجية، فهي ليست فقط نسقاً من الأفكار، بل طريقة في تأطير الواقع والتفاعل معه، وتحديد الممكن والممنوع في الوعي الجمعي.
ومن هذا المنطلق، تبدو العلاقة بين المثقف العربي وكل من الحداثة والأيديولوجية علاقة متشابكة، تتوزع بين التبني والنقد، بين الاندماج والرفض، وبين الاستيعاب وإعادة الإنتاج. وبالتالي من المهم، البحث في تجليات "أزمة الحداثة الأيديولوجية" في فكر المثقف العربي المعاصر، ولكن قبل ذلك لا بد من الحديث عن معاني كل من مفهومي الحداثة والأيدولوجية.

ثانياً– الحداثة:

مهما اختلفت عبارات المعاجم وتعددت معاني مادة (حدث) فإنها تجمع على أنّ المراد منها شيء جديد يقع في الحاضر أو المستقبل و"يقطع" مع الماضي والقديم "قطعاً" قد يتخذ شكل مغايرة أو مخالفة أو مناقضة، بحيث لا يكون "الحادث" على مثال أو نموذج سابق. ومع ذلك قولهم "الحدث نقيض القديم، والحدوث كون الشيء لم يكن، وأحدثه الله

[24] المرجع السابق، ص44.

[25] العايب، ربيع. (2020). قراءات في أزمة المثقف العربي: الجابري –إدوارد سعيد– محمد أركون. جامعة قاصدي مرباح ورقلة الجزائر: مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، م4، ع2.

فحدث. وحدث أمر أي وقع واستخدمت خبراً أي وجدت خبراً جديداً. والحديث من هذا، لأنه كلام يحدث منه الشيء بعد الشيء. [26]

وتذهب بعض المعاجم إلى أن "حداثة" كلمة استخدمت بكثرة منذ القرن العاشر في السجلات الفلسفية والدينية، وتقريبا دائماً، بمعنى تقريضي (انفتاح وحرية العقل، معرفة الوقائع المكتشفة حديثاً، أو الأفكار المتبلورة حديثاً، غياب الكسل والروتين) أو بمعنى قدحي (سخافة اهتمام زائد بالموضة، حب التغيير من أجل التغيير، ميل نحو هجران الماضي بدون تفكير ولا ذكاء لصالح انطباعات الحاضر). وفي التماسه لتاريخ موجز لدلالات كلمة الحداثة، يقول لوفيفر: "في القرون الوسطى وفي المدن التي كانت تدار وفقاً لنظام المجالس البلدية (في شمال فرنسا) أو القنصليات في جنوبها، أي وفقاً لعقد مثبت، كان الممثلون المنتخبون أو المدعوون سلفاً للمثول يدعون: الحديثين" أما أولئك الذين كانت فترتهم التمثيلية تشارف على الانتهاء فقد كانوا يدعون "القدامى" تمييزاً لهم عن الحديثين.

وكان المفهوم الأخير (أي الحديث) يجمع بين دفتيه فكرتين اثنتين: التجديد من جهة، وقدر من الانتظام في حركة التجديد من جهة ثانية، وأخذ هذا المفهوم يظهر في تواريخ متباينة وفي قطاعات مختلفة من الحياة الاجتماعية والسياسية، وفي ميدان الثقافة خصوصاً محملاً بمعان إشكالية على الدوام مثلاً مع نهايات القرون الوسطى، وفي الفترة التي كان الفكر والفن يقدمان نفسيهما فيها باعتبارها بعثاً للنتاجات العريقة. كان يجري استخدام مصطلح "الموسيقى الحديثة" في مقابل "الموسيقى البائدة" ومنذ تلك الفترة بدأت تواصل الظهور تقنيات وأبحاث مجددة شكلت ما يشبه "حداثة" عدوانية ولقد بلغت إشكالية هذا المعنى أوجها في نهاية (ق18) مع الصراع الشهير بين القدامى والمحدثين. [27]

والحداثة كما عرفها عالم الاجتماع والفيلسوف جان بوديلا في أبسط معانيها أنها ليست مفهوماً سوسيولوجياً، ولا مفهوماً سياسياً، وليست كذلك مفهوماً تاريخياً، بل نمط حضاري عكس عالم التقاليد.

كما حدد مفهومها سوزانتا جوناتيليك بأنه:" رأي عنصري المركز نشأ عن حقبة معينة من التاريخ، ومن إقليم جغرافي معين" في المقابل يقول محمد أركون في معرض التفريق بين التحديث والحداثة بأن الحداثة "موقف للروح أمام مشكلة المعرفة، إنها موقف أمام كل المناهج التي يستخدمها العقل للتوصل إلى معرفة ملموسة للواقع. [28]

والحداثة ليست مجرد دعوة أو رسالة يبشر بها ولا هي مجرد استعراض لما أنجزه الفكر الحديث، بل هي مجموعة من التحولات العميقة على مستوى التفكير والوعي، المتتابعة والمتراكمة التي تعمل على تطوير المجتمع عبر تنمية اقتصاده وأساليب تفكيره وطرقه في العيش والتعبير، ومنه فمن خطل القول اختصارها على التمكن من التطبيق التكنولوجيا للعلم ولا امتلاك المنتجات المادية كي يصبح المجتمع حداثي، لأن هذا النوع من الحداثة سطحي ولا يرقى إلى مستوى الحداثة الحقيقية التي تشمل الجانب الفكري ولا تختصر على الجانب المادي. [29]

أما بالنسبة لظهور الحداثة في الفكر العربي المعاصر فقد اختلفت الآراء حول بداية النهضة العربية الحديثة وجودياً غير أن الإجماع يكاد يكون منعقداً على البداية النظرية، التي حددت برواد فكر النهضة والإصلاح الذين كانوا متأثرين بالاحتكاك الثقافي المباشر بالغرب مع بداية القرن التاسع عشر والتأثر بالحركات الفكرية السائدة هناك، والاطلاع عبر

---

[26] شبار، 2005، ص70

[27] شبار، 2005. ص 80-81.

[28] بوترعة، سعيد. (2014). الحداثة: مفهوم وظهور الدعوة لها في الفكر العربي المعاصر. جامعة: يحيى فارس-المدية. مجلّة المدونة. ص396

[29] بوترعة، 2014، ص 403

قنوات مختلفة، على بعض جوانب الأفكار الاجتماعي والسياسي والفلسفي السائد هناك، والعمل على التبشير بها ونشرها، غير أن هذه الدعوة لم تظهر كصيغة منظمة في شكل خطاب إصلاحي تجديدي واضح المعالم إلّا عند البعض منهم فقط. [30] بعد أن تناول مفهوم الحداثة وتاريخها المتنوع، سيتم الآن دراسة الأيديولوجية وكيف تطور استخدامها في الفكر السياسي والفلسفي."

ثالثاً– الأيديولوجية:

لو رجعنا إلى معاجم وموسوعات أجنبية تعرف اللفظ، لوجدنا أنه لفظ غير مستقر على مفهوم محدد واستعمال معين، لفظ محتمل لمفاهيم لا حصر لها. إلّا أن الوصف القائم باللفظ في غالب استعمالاته، وصف سلبي قدحي، يعبر عن عدم الوضوح والبيان، وعي كاذب زائف، وهم، حلم،.. حتى أنه ليصح عليه، لغة ما حددته معاجم اللغة العربية، بأنه "سير وتنقل في الظلام" يحمل اللفظ مع كل اتجاه فكري أو "طبقة" بل مع كل شخص أو "رغبة" معنا ولوناً تتجاذبه مصالح وطموحات. كل ذلك في سيرورة تاريخية مليئة بأشكال معقدة من التطورات الفكرية، والتحولات السياسية والاجتماعية في القرنين 18و19 على الخصوص، أو عصر فلسفة الأنوار. [31]

هذا مع أنّ مصطلح "الأيدولوجيا" لم يبدأ كمصطلح للتهمة، كما أنه في الاستعمال المتداول ينأى بعيداً عن أية مضامين أو تضمينات تفيد معنى التعريض أو الإدانة. فالمصطلح يعادل أو يقابل أية مجموعة مترابطة من المعتقدات السياسية المتسقة ذاتياً. ولكن وفي منتصف الطريق، ومع ما خلعه كارل ماركس على المصطلح من استعمال، دل مصطلح "أيديولوجيا" على وعي زائف بالحقائق الاجتماعية والاقتصادية، ووهم أو ضلال جمعي يتقاسم الوقوع فيه أفراد طبقة اجتماعية معينة(..) وهكذا لم يصبح المصطلح مصطلح إهانة وإدانة فحسب، بل مصطلحاً ضخمت فيه الإهانة بفعل نظرية مثيرة لم يقر بها القرار بعد على مستقر فلسفي". [32]

ولقد ظهر هذا المصطلح لأول مرة في نهاية القرن الثامن عشر مع "أنطون دستوت دي تراسي"، وعلى غرار "اتيين دي كوندييلك" وفلسفة "الحسوية"، كان ينوي نشر "علم أصل الأفكار" القادر على توضيح أسس النظام الاجتماعي. فيما بعد، ازداد الجانب التحقيري في دلالة المصطلح. فمثلاً يرى "نابليون" بشكل خاص أن "الايديولوجيين" وكانوا معارضين عنيفين لسياسته، مثل "بيير جان جورج كاباني" و"دومنيك جارات" و"كونستانتين فرانسوا دو فولناي" يحيدون عن الواقع للجوء إلى التجريد، ويحملون بالتالي دعايات خداعة من "تأملات عديمة الفائدة" و"أفكار دقيقة ولكنها غامضة" إذن كيف يمكن شرح التمسك بمواقف قابلة للنقاش، هذا إن لم تكن خاطئة؟ هل يخضع الإنسان الاجتماعي للإغراءات الكاذبة الصادرة عن الجماعات؟ هل ينبغي أن نجد في ذلك تأثير المكان السائد أم ثمرة حساب عقلاني؟

لنتحدث من جديد عن هذه الفرضيات. ليست أنظمة التمثيل، كما يذكر "فرانسيس باكون" في كتابه "الصك الجديد"، سوى "أصنام" لسلسلة أخطاء تكشف عن سذاجة في الرأي. فالأفكار السابقة المتجذرة في العقل تمنع أي مسافة نقدية، وتفضي بالتالي إلى "الخرافات" أو إلى "الخلط"، أو إلى "التعليمات من الخارج". كذلك، تذهب التحليلات الماركسية بمفاهيم مثل الضلال أو الإخفاء أو "الوعي الخاطئ" للوصول إلى أبعد من هذا، فهي تندد بالاستغلال والسيطرة وتأليه السلع. ويتم إدراك الواقع بكاميرا مظلمة، إنه واقع مشوه: لا نملك انعكاساً "شاحباً" و "مقلوباً ومبتوراً. ويرى كاتب "الثامن

[30] بوترعة، 2014، ص403.

[31] شبار، 2005، ص33.

[32] شبار، 2005، ص33.

عشر من شهر البرومير" أن مصطلح الطبقة هي المسؤولة عن هذه العملية. كما يعتبر الرأسماليون الربح كمكافأة عادلة لرأس المال المستثمر، ويعتقد البروليتاريون أنه ينبغي توافق مستوى الدخل مع العمل المنفذ. غير أن الطرفين لا يفهمان الترابط بين نظرية القيم ونظرية زيادة القيمة. إن الانضمام إلى مجموعة من معايير أو إلى أقوال قد تكون أيضاً جد متمسكة بعملية التقليد. إذن، نحن نركز _على منوال "غوستاف لوبون" و"جبرائيل تارد"_ على وجود مشرفين وأسياد يتمتعون بالكاريزما، وقادرين على قمع طبقات العمال وإخضاعها أو "تنويمها مغناطيسياً" وتبدو هذه الطبقات متغيرة وساذجة وغير مسؤولة. كذلك تسبغ القيمة على الضغوطات، ووسائل الإقناع، والعادات، والتقاليد. [33]

ولقد تم اقتراح معانٍ أخرى للإيديولوجية، إذ تكلم "فيلفريدو باريتو" عن "الانحرافات" وتكلم "ريمون أرون" عن "الأديان القديمة" وعن "مخدر المفكرين"، وتناول "رولان بارت" "الأساطير" و"ميشال فوكو" "التكوين الاستدلالي" وتحدث "بير بورديو" عن الاعتقاد السائد أو الرأي الشعبي أو عن العادة. أما "ماكس فيبر"، فإنه يفضل م جهته استخدام عبارة "المنظفات الرمزية": بفضل "وساطات" كهذه، تنظّم، على شكل نمط ضمني، قناعات وإدراكات تحصل خلال سيرة الحياة التي تتميز بعلاقات فريدة ونشيطة مع مجموعات انتمائية ومرجعية متعددة، ماضية كانت أم معاصرة. وهناك صياغات أخرى أكثر حيادية، وهي تستند إلى علم اجتماع المعرفة وتتحدث عن اللجوء إلى "أهل الفكر الذين لا تقيدهم القيود" "كارل منهايم".

تدعم هذه البنى المختلفة العمل الجماعي وتتوافق مع رهانات محددة، سواء تعلق الأمر باتساق المؤسسة وتشريع السلوكيات والالتزامات أو أيضاً ب "تأكيد" صوابية بعض التطلعات.

إذن، ليست الأيديولوجية بالضرورة قوة غامضة ومجهولة الاسم وتشجع الحشود، بل على العكس من ذلك، هي غالباً ما تنجم عن قرار حكيم وعن تصرف استراتيجي. بالإضافة إلى ذلك، تتدخل الأيديولوجية بفعالية على مستوى تحديد الغايات ومن زوايا الوسائل التي يتعين استخدامها. وبدونها، ولا يوجد أي عمل ولا تستطيع الخبرة أن تلغي لعبة القدرات والرغبات. وإن أخذنا بالحسبان الموقف المأخوذ، فإن الأحكام الأخلاقية أو العاطفية المرتبطة بها تمكننا بذلك من التحقق من أنه في غال الأحوال ما كان هناك وجود الإنتاج العلمي لو لم تكن المعتقدات غير المؤكدة هي التي تحميه. [34]

وبعد تحليل مفهومي الحداثة والأيديولوجيا، وفهم دور المثقف في المجتمع ووظائفه الملقاة على عاتقه، يبرز من الضروري استكشاف موقع المثقف العربي في خضم أزمة الحداثة الأيديولوجية، والوقوف عند مدى تأثير هذه الأزمة في تشكيل الفكر السياسي والاجتماعي في العالم العربي.

رابعاً– المثقف العربي وأزمة الحداثة الأيديولوجية:

بعد أن تمّ توضيح مفهوم المثقف، وبيان أدواره المختلفة بوصفه الفاعل المتكلم في الحقل الرمزي والاجتماعي، إلى جانب استعراض المفهومين المحوريين في هذه الإشكالية، وهما الحداثة والأيديولوجيا، بات من الممكن الانتقال إلى مناقشة العلاقة المركّبة بين المثقف العربي وأزمة الحداثة الأيديولوجية. فالمفاهيم السابقة تشكّل الإطار النظري الذي يسمح بفهم طبيعة التوتر الذي يعيشه المثقف في السياق العربي، حيث يتقاطع المشروع الحداثي مع إرث أيديولوجي

[33] فيريول، جيل. (2011). ترجمة: أنسام محمد الأسعد. معجم مصطلحات علم الاجتماع. بيروت: دار ومكتبة الهلال. ص105

[34] جيل، 2011، ص106.

مثقل بالتناقضات. ومن ثمّ، تسعى هذه الفقرة إلى تحليل موقع المثقف العربي ضمن هذه المعادلة المعقّدة، واستكشاف إمكاناته وحدوده في إنتاج خطاب نهضوي نقدي قادر على تجاوز الجمود والتبعية.

أ- المثقف والايديولوجيا: بعيداً عن المعاني القدحية التي ارتبطت بالأيديولوجيا التي تعدها وعياً زائفاً، وفكراً مظلماً، وقناعة لا تقبل المناقشة، ومسلمة لا تحتاج إلى التبرير، فإن المثقف، بحكم ارتباط نشاطه بصناعة الأفكار وصياغة التصورات وبناء المواقف وتشييد المعارف، لا يمكن إلاّ أن يكون أيديولوجياً، غير أن الضرورة تستدعي التمييز بين المثقف المؤدلج بالمعنى السلبي، أي الذي يفكر تحت الطلب، ويكتب تحت الطلب، ويبني قناعاته تحت الطلب، ويتعارك تحت الطلب، ويكون بكل بساطة ألعوبة العرض والطلب، وبين المثقف الذي يفكر من خلال إطارات نظرية تتفرع من الاتجاهات الفلسفية والفكرية التي تتلاءم ومتطلبات المجتمع. فالمثقف المؤدلج لا يستمد خطابه ومشروعه من أحد التيارات النظرية، بل من يشتغل على حراسة الأفكار، ويتخلى عن معول النقد، ويستثمر رأسماله لمشايعة السلطة واستلاب الناس، بدلاً من تحرير الإنسان والجهر بالحق والانخراط في السجال، وإرساء أسس الديمقراطية، والتأسيس للحريات والحقوق الضرورية. [35]

ب- المثقف العربي والحداثة بين التبنّي والممانعة:

لقد أدت رحلات الطلاب إلى الخارج، إلى ظهور فضاء جيوسياسي عالمي جديد وإلى بروز حداثة مستوردة، تتسامى على التقاليد الداخلية الموروثة والمستمرة طيلة العصر الثقافي. ومن هذه الزاوية يعتبر مثقفو العالم الثالث ثمرة الاستعمار والإمبريالية والتحديث/ والتغريب. فهل هم إذاً خونه إذا ما قيسوا بالتقليد المحلي، أو أحصنة طروادة الغرب؟ ومع ذلك فقد لعبوا دوراً أساسياً في الصراع من أجل الاستقلال الوطني والتخلص من الاستعمار، نستنتج من ذلك أن مثقفي العالم الثالث قد لعبوا دوراً مزدوجاً، إذ قاموا بدور الوسطاء بين مختلف العوالم الثقافية التي تتشكل منها كرتنا الأرضية، بالتالي فقد كان عليهم مواجهة مسائل محلية خاصة لم يتسنّ لمثقفي أوروبا أو الغرب (لأجداهم من أيام عصر النهضة والأنوار) مواجهتها بطريقة جد قاسية أو درامية إلى هذا الحد. ففي أوروبا كانت المسائل تظهر بشكل مطرد، وقد استغرق حلها أجيالاً طويلة من المثقفين، أما في العالم الثالث، فإن حالة المسائل الطارئة والحلول المفروضة كانت تثقل كاهل جيلين أو ثلاثة من المثقفين الذين توجب عليهم إبان قرن من الزمان إدارة الانتقال من التقليد إلى الحداثة، من الجمود الثقافي إلى التحديث والتغريب وإلى العولمة فيما بعد. تدور هذه المسائل حول العلاقات بين العلمنة والأصولية. بين القيم المحافظة على الهويات وقيم الحداثة الديمقراطية التي يفترض أن تكون عالمية، وهي كما نعلم من أصول غربية. [36]

ويضيف ليكلرك ليقول بأن مثقفو العالم الثالث يبدو أنهم أكثر تعلقاً بالهويات. خاصةً حين تكون الإشارات إلى حقوق الإنسان مدموغة بالمركزية الأوروبية وباللّاإرادية، ويشكل التعايش بين ورثة رجال الدين التقليديين وصورة المثقف العلماني، العالمي أو المتجاوز للثقافات إحدى أبرز المسائل التي سيواجهها عالم الغد، خاصة إذا ظل المثقف أميناً

[35] القضيب، أحمد. (2018). المثقف العربي والتحولات الاجتماعية قراءة في مسار أزمة المثقف في العالم العربي. قلمون: المجلة السورية للعلوم الإنسانية، ع5.

ليكلرك، جيرار، ترجمة: جورج كتوره. (2008). سوسيولوجيا المثقفين، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ص133

على المعتقدات الدينية المحلية التي صارت لاإرادية أحياناً، حتى لو كانت الحقائق التي تمثلها وليدة لغة جرى التعبير عنها عبر الوحي أو من خلال التقليد السائد، أو حتى من خلال الثورة والحداثة. [37]

ت- المثقف العربي والسلطة

تطرح علاقة المثقف بالسبطة والحاكم مشكلة مهمة ودائمة وقديمة، هي مشكلة الولاء التي تصطدم بما يجب أن يكون عليه المثقف من تجرد من الأيديولوجيا والمرجعيات، ولكن ذلك أمر صعب حيث أن المثقف كما يقول إدوارد سعيد لابد أن ينتمي إلى مرجعيات مثله مثل غيره من أبناء المجتمع، كالمرجعيات القومية أو الدينية أو الإثنية، ومن الصعب عليه كغيره أيضاً أن يعلو فوق هذه المرجعيات التي تكونت تاريخياً وتشده دائماً إليها، ولكت المثقف في سلوكه السياسي وخطابه يجب أن يكون موضوعياً وناقداً لكل ما يستحق النقد متجرداً من أي توجه أيديولوجي. [38]

وفي الحقيقة هناك خطابان مثقف السلطة وهو مغلف بأيديولوجيا السلطة وخطاب المثقف المعارض وهو خطاب مفتوح، ويرى نصر حامد أو زيد أن الخطاب حين يتحول إلى سلطة ولو كان في موقع المعارضة السياسية المباشرة ينتهي إلى تكريس مفهوم السلطة في مجال الفكر والوعي والابداع، وهو مفهوم أخطر بكثير من مفهوم السلطة السياسية وهنا يتقاطع نصر حامد أبو زيد مع إدوارد سعيد في القول بأن خطاب المثقف إذا ما تلون بصبغة أيديولوجية، فهو يفقد المثقف وجوده كونه يبعده عن حقيقته لأن المثقف يجب أن يكون بفكره وخطابه متعالياً عن النظرة المؤدلجة الضيقة كون أن المفكر كوني وليس محلي وهو لا ينتمي إلى حزب معين ولا إلى جماعة وليس له ولاء إلا للقيم المطلقة والعليا التي يسعى من خلالها إلى إصلاح ما يجب إصلاحه من أجل الإنسانية عامةً. [39]

ويقول إدوارد سعيد أنه على المثقف عدم قبول الحلول الوسط فيما يتعلق بقيم الحرية والعدالة، خصوصاً حين يحس أنه، ما دام قد أقدم على الكتابة أو على مخاطبة جمهور ما، قد أصبح يشارك في الحياة العامى وأصبح يمثل غيره ممن لا يمثلهم أحد في دوائر السلطة، سواء صاحب العمل الذي يمارس المثقف مهنته لديه، إلى صورة الشركات التجارية التي تسعى للربح دون غيره ولا يعنيها في سبيل ذلك ضحايا الربح من الفقراء والمحرومين، إلى صورة الحكومة التي تسخر جهازاً بل أجهزة كاملة للحفاظ على مواقعها، إلى صورة الأيديولوجيات الجذابة الخادعة التي قد لا يدري العامة ما وراءها، ويقع على المثقف عبء تمثيل العامة في مقاومة أشكال هذه السلطة جميعاً، لا يدفعه إلا ما يؤمن به من قيم ومبادئ إنسانية عامة، لا حزبية ضيقة، أو فئوية متعصبة، أو مذهبية متجمدة، ومصراً على أن ينهض في هذا كله بدور الهاوي لا المحترف، أي الذي يصدر في أفعاله عن حب لما يفعل لا من يخدم غيره، أو يعبد أرباباً زائفة سرعان ما تخذل عبّادها. [40]

فالمكان الطبيعي للمثقف ليس الملتقيات والندوات العلمية، وإنما مكانه الطبيعي والحقيقي هو الشارع بين جموع الجماهير المتعطشة للحرية، فالمثقف الحقيقي والعضوي حسبه هو الذي ينتج الوعي الحر ويقوم بدور قيادي بين جموع الجماهير في مواجهة السلطة وقمعها وزيفها. والحقيقة أن بعض الناس يظن أن المثقف يقتصر دوره على الكتابة والتنظير المعرفي فقط، لذا صار الكثير من المثقفين يعيشون في صومعة فكرية، ودورهم في المجتمع ضامر لا يظهر

[37] ليكلرك، 2008، ص140.

[38] معط الله، 2016، 53

[39] معط الله، 2016، 53

[40] سعيد، إدوارد، 2006، ص11.

إلا من خلال كتاب أو مقال فحسب، ولاريب في أن هذا خلل في المفهوم، فالمثقف إن كان قصده المعرفة والثقافة فحسب فإنه لن يكون له دور إصلاحي وريادي في المجتمع. [41]

ث- المثقف العربي والتحولات الاجتماعية:

تشكل التحولات الاجتماعية التي أرخت بظلالها على مختلف جوانب المجتمع، من سياسية واقتصاد جزءاً كبيراً من أزمة المثقف، فأمام سرعة هذه التحولات وديناميتها الشديدة بقي المثقف عاجزاً عن استيعاب أدواره الجديدة، وهذا ما يتجلى واضحاً بعد حصول الدول العربية على استقلالها، حيث وجد المثقف نفسه تائهاً، كأن عقله قد عطل وقلبه قد سلب وصفحته قد طويت، فبعدما كان هاجسه الاستقلال وتكريس الوحدة أصبح من دون بوصلة توجه فكره وممارسته. إن طبيعة المجتمعات العربية التقليدية كرست نمطاً من المثقفين المستندين إلى النصوص الدينية وما توفره من أدوات عقلية ونقلية، غير أن الانتقال مما هو تقليدي بدائي إلى مجتمع أكثر عقلانية وبيروقراطية أبرز لنا مثقفين يستمدون خطاباتهم من الماركسية، حيث وجدوا في هذه الأخيرة أرضية يقفون عليها. [42]

وإن أزمة المثقف مرتبطة بفشله في استيعاب أدواره الجديدة التي فرضتها التحولات الاجتماعية وما لحقها من انتقال من التنظيمات التقليدية إلى تنظيمات أكثر عقلانية، فالمثقف العربي غارق في نزعة ماضوية تجعل استيعابه الحداثة ومفهوماتها ذا صعوبة بالغة، فالتعامل الدوغمائي مع الأفكار ومعاملتها على أنها عقائد جامدة هو جزء من أزمة المثقف الحالية، سواء كان مثقفاً سلفياً يحصر ويحاصر أفق تفكيره في دولة الخلافة وما توصل إليه السلف الصالح، أم مثقفاً ماركسياً يدعي التقدمية الرافض تجديد عدته النظرية والمفاهيمية المهترئة، حيث يرفض الخروج من نطاق اجتهادات ماركس وأنغلز، على الرغم من تجاوزها، وعدم صلاحيتها بوصفها أطراً تحليلية للمجتمعات الحالية.

النتائج والمناقشة:

تشير أزمة الحداثة الأيديولوجية التي يواجهها المثقف العربي إلى مأزق معقّد يتقاطع فيه التحديث مع الإرث الفكري والسياسي والديني، ما يضع المثقف في موقع شديد الحساسية بين الانخراط في النقد والتحرّر، أو الارتهان للسلطة والتقليد. فالمثقف، من حيث جوهره، لا يمكن فصله عن الأيديولوجيا، لكنه مدعوّ إلى ممارسة نقدها لا الارتهان لها. وفي ظل حداثة مستوردة وصراع دائم بين الأصالة والمعاصرة، يتأرجح المثقف بين التبنّي والممانعة، متأثراً بالاستعمار والتغريب من جهة، وبالمحلية المتكلسة من جهة أخرى. وتتفاقم هذه الأزمة في علاقته بالسلطة، حيث يتحوّل دوره في بعض الأحيان إلى مجرد تابع، فيما ينبغي أن يكون ضميراً حياً وناقداً مستقلاً. كما تزيد التحولات الاجتماعية السريعة من حدة الأزمة، حيث يعاني المثقف من صعوبة استيعاب متطلبات العقلنة والتحديث، في ظل هيمنة نزعات ماضوية ومقولات أيديولوجية متكلسة، ما يحدّ من قدرته على أداء دوره النهضوي التنويري المنشود.

ومن خلال الدراسة السابقة توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج التي لا غنى عن ذكرها وهي كالتالي:

1-المكانة الاجتماعية للمثقف العربي في سياق التطور التاريخي للمجتمع العربي: حظي المثقف العربي بمكانة بارزة في مراحل مختلفة من تطور المجتمع العربي، لا سيما خلال فترات النهوض الوطني ومقاومة الاستعمار، حيث كان يُنظر إليه كقائد رمزي وفاعل أساسي في تشكيل الوعي الجمعي. إلا أن هذه المكانة شهدت تراجعاً بعد الاستقلال،

[41] معط الله، 2016، 57.

[42] القضيب، 2018، 131.

إذ فقد المثقف دوره التوجيهي، وأصبح في كثير من الأحيان إما تابعاً للسلطة أو منزوياً في صومعة الفكر والتنظير. وقد أدى هذا التراجع إلى أزمة في العلاقة بين المثقف والمجتمع، فبعد أن كان منخرطاً في قضايا الناس وهمومهم، أضحى معزولاً عن نبض الشارع، ما أضعف حضوره الاجتماعي والرمزي.

2-أنواع المثقفين في سياق التطور التاريخي للمجتمع العربي:

- **المثقف المؤدلج** :وهو الذي يخضع لإملاءات السلطة أو الجماعة، يفكر ويكتب تحت الطلب، ويكرّس خطاباً سلطوياً بعيداً عن النقد والتحرر، ما يجعله أداة لتكريس الواقع لا تغييره.
- **المثقف النقدي أو العضوي** :وهو الذي يبني خطابه انطلاقاً من رؤى فلسفية وفكرية منفتحة، ويؤمن بالتحرر والعدالة والحق، ويجعل من نفسه صوتاً للناس لا صوتاً للسلطة. هذا النوع يسعى إلى تجاوز الجمود وإنتاج وعي نقدي يواجه التبعية والاستلاب.

3-دور المثقف العربي في مواجهة أزمة الحداثة الأيديولوجية من الناحية الدينية: من الناحية الدينية، يواجه المثقف العربي تحدياً كبيراً يتمثل في الموازنة بين احترام المعتقدات الدينية المتجذرة في المجتمعات العربية، والانخراط في مشروع حداثي عقلاني. فالمثقف يُطالب بأن يكون متجاوزاً للنزعات الدوغمائية والجمود النصّي، دون أن يُنظر إليه كعدو للتقاليد. ويتجلى هذا الدور في محاولته فتح المجال أمام تأويلات دينية عقلانية تُراعي العصر، وتُسهم في ترسيخ قيم حقوق الإنسان والديمقراطية. غير أن هذا المسعى يصطدم غالباً بقوى دينية تقليدية، ما يجعل المثقف في مواجهة مستمرة مع سلطات رمزية متجذرة.

4-دور المثقف العربي في مواجهة أزمة الحداثة الأيديولوجية من الناحية الاجتماعية: اجتماعياً، تفرض التحولات المتسارعة على المثقف العربي أدواراً جديدة لم يتمكن دائماً من استيعابها، خاصة في ظل انتقال المجتمعات العربية من بنيات تقليدية إلى أخرى أكثر بيروقراطية وعقلانية. وقد كشفت هذه التحولات عن أزمة في قدرة المثقف على التفاعل مع واقع متغير، فغرق بعضهم في النوستالجيا والتراث، بينما بقي آخرون أسرى نماذج فكرية مستوردة أو متجاوزة (مثل الماركسية الكلاسيكية). والمطلوب من المثقف هنا أن يُعيد تشكيل خطابه ليكون أكثر قدرة على فهم الواقع الاجتماعي وتوجيهه، من خلال مرافقة التغيير وتقديم أدوات تحليلية نقدية تُساعد الناس على فهم ذواتهم ومجتمعاتهم.

5-دور المثقف العربي في مواجهة أزمة الحداثة الأيديولوجية من الناحية السياسية: سياسياً، يرتبط دور المثقف العربي بمسألة السلطة بشكل وثيق. وقد عبّر العديد من المفكرين (مثل إدوارد سعيد ونصر حامد أبو زيد) عن خطورة تحوّل خطاب المثقف إلى خطاب سلطوي، حتى ولو كان معارضاً. إذ أن المثقف الحقيقي لا يجب أن يخضع لإيديولوجيات مغلقة، بل أن يكون حراً في نقده، ملتزماً بقيم إنسانية عليا، لا بمصالح حزبية أو فئوية. فالمثقف مدعوّ لأن يكون "هاوياً" لا "محترفاً"، أي أن يتصرف بدافع أخلاقي لا مصلحة آنية. وهو بذلك يصبح ضمير المجتمع، يتقدّم الصفوف في مواجهة القمع والزيف، لا يكتفي بالتنظير بل ينخرط في الواقع، ويعبّر عن صوت من لا صوت لهم، وهو ما يمنحه شرعية رمزية وجماهيرية حقيقية.

الاستنتاجات التوصيات:

1-**تعزيز المشاركة الفكرية بين المثقفين والجمهور:** من الضروري تشجيع المثقفين على تبني مواقف تتسم بالانفتاح والتفاعل مع مختلف فئات المجتمع، لا سيما في القضايا السياسية والاجتماعية. يجب أن تتضافر الجهود لإشراك الجمهور في النقاشات الفكرية، مما يسهم في تعزيز الوعي العام والنقد البناء.

2-**تشجيع البحث النقدي حول الحداثة والأيديولوجية:** ينبغي دعم الدراسات التي تهتم بمراجعة دور الحداثة في المجتمع العربي، مع التأكيد على أهمية تطوير أفكار ومفاهيم تناسب السياق المحلي وتراعي الخصوصيات الثقافية والدينية. كذلك، ينبغي تشجيع الحوار الأكاديمي حول تأثير الأيديولوجيات المختلفة على فكر المجتمعات العربية.

3-**تعزيز تعليم التفكير النقدي في المناهج التعليمية:** من المهم إدخال التفكير النقدي كجزء أساسي من المناهج الدراسية في التعليم العربي. يجب أن يُعزز في الطلاب مهارات تحليل المشكلات الاجتماعية والفكرية بشكل نقدي من خلال التعليم الذي يشجع على التساؤل والنقد البنّاء.

4-**تطوير البرامج الثقافية والفكرية لتوسيع نطاق المعرفة:** يُوصى بإطلاق مبادرات ثقافية وفكرية تهدف إلى بناء منصات حوارية تضم مختلف الأصوات الفكرية، بما في ذلك المثقفين الشباب والمستقلين. ذلك سيسهم في خلق بيئة فكرية تسهم في تطور الفكر العربي وتنميته.

5-**مواصلة دراسة تأثير الثقافة الجماهيرية والنخبوية على الفكر العربي:** من المهم أن تُخصص المزيد من الدراسات الأكاديمية لتسليط الضوء على العلاقة المتشابكة بين الثقافة الجماهيرية والنخبوية، خاصة في إطار تحولات المجتمع العربي. يجب أن تهدف هذه الدراسات إلى فهم أعمق للطريقة التي تؤثر بها النخب الفكرية على الثقافة العامة والعكس.

References:

[1] A. Nidal, *The Role of the Intellectual*, Civilized Dialogue, (in Arabic), No. 15, (2006).

[2] A. Amina, Elite or Elites: A Reading of the Concept, Roles, and Problems. University of Constantine 3. Journal of Humanities and Social Sciences, (in Arabic), No. 28, (2017).

[3] A. Rabi', *Readings in the Crisis of the Arab Intellectual*: Al-Jabiri - Edward Said - Muhammad Arkoun. University of Kasdi Merbah, Ouargla, Algeria: Qabas Journal for Humanities and Social Studies, (in Arabic), Vol. 4, No. 2, (2020).

[4] A. M. Abed, *Intellectuals in Arab Civilization. Beirut*: Center for Arab Unity Studies(in Arabic), 2000.

[5] Q. Ahmed, *The Arab Intellectual and Social* , Transformations: A Reading of the Crisis of the Intellectual in the Arab World. Qalamoun: Syrian Journal of Humanities, (in Arabic), Issue 5. (2018).

[6] R. Zaid, Edward Said and the Intellectual Style, New Culture, No. 331, (2009).

[7] A. Muhammad, *Some Tasks of the Arab Intellectual Today*, translated by Hashem Saleh, Al-Wahda Magazine, (in Arabic), Issue 66. (1990).

[8] B. Saeed, *Modernity: The Concept and Emergence of its Call in Contemporary Arab Thought*. Yahya Fares University, Al-Medea. Al-Mudawwana Magazine, (in Arabic), (2014).

[9] Dictionary of Social Science Terms, n.d. in Arabic

[10] F. Gil, Translated by: Ansam Muhammad Al-Asaad. Dictionary of Sociological Terms. Beirut: Dar and Library of Al-Hilal, (in Arabic), 2011.

[11] H. Is'af Muhammad, The Arab Intellectual: The Problem of the Active Role. Damascus University Journal, (in Arabic), Vol. 30, No. 43. (2014).

[12] L. Gerard, translated by George Kattoura, *Sociology of Intellectuals*. Beirut: United New Book House, (in Arabic), 2008.

[13] M. Ahmed, *Edward Said's View of the Arab Intellectual Between Commitment and Ideology. University of Tebessa:* Journal of Humanities, (in Arabic), Issue 5, 2016.

[14] S. Edward, Translated by: Assan Ghosn. Images of the Intellectual, Arab Enlighteners Forum and Network, (in Arabic), 1993.
[15] S. Edward. Translated by: Muhammad Anani, *The Intellectual and Power*. Vision for Publishing and Distribution, 2006.
[16] S. Said, *The Elite, Ideology, and Modernity*. Beirut: Dar Al-Hadi, (in Arabic), 2005.